Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأخذتها عيناه فى كل ليلة ، وهى تصغى إليه من ركنها المنزوى ، فرقَّ قلبه لهذا الربيع الحزين وذاك الحسن الذابل . ولما عرف قصتها دعاها إلى أن تلوذ بالحرم الأمين لتلقى هناك أحبابها ، فاستجابت للدعاء دون تردد ، وتشبثت بالرحيل معه ضارعة إلى قومها متوسلة ، مستعينة بالله على من يصدها عن سبيل الله .

قيل لها : لكن الإسلام لا يأذن لك بالحج إلا فى صحبة رجل من محارمك .

فكادت تيئس لولا أن تقدم الرجل الغريب يطلب يدها ، وقد راقت فى عينيه وطاب له أن يتخذها تُهوّن عليه مشقة المسير ووحشة المسرى . .

ثم انصرف بها يبغيان مكة المكرمة . ومن ثمَّ إلى المدينة المنورة !

* * *

تبعت زوجها مشوقة هائمة ، تريد أن تشكو إلى الله بثَّها وحزنها وتنفض فى ساحة الحرم همومها وأوجاعها . وقد هون عليها ذلك ، كلَّ ما لقيت من عناء السفر ووعثاء الطريق ، وكلما نال منها الإعياء وأوشكت أن تتهاوى دون الغاية ، تراءت لها القبة الخضراء من بعيد ، فدبت القوة من جديد .

وبلغت غايتها وفيها رمق من حياة ، فأسندت كيانها المتداعى إلى الحرم المبارك ، فرُدَّت إليها الروح ، ورفعت رأسها إلى السماء مبتهلة داعية .

وكانت تظن أن رحلتها ذات رجعة ، وأنها سوف تثوب إلى ديارها بعد أن تقضى من الأراضى المقدسة وطراً . لكن زوجها أنبأها عقب وصولها إلى « المدينة » أن لا رجعة ولا إياب ، بل المقام فى دار الهجرة حتى أوان الرحيل إلى الدار الآخرة .

ومضى عام فى إثر عام ، وهى تغدو إلى الحرم النبوى مع مطلع الفجر ، فتقيم به نهارها وقطعةً من الليل ، ثم تأوى كارهة إلى قاعة صغيرة فى « حارة الأغوات » حيث ترقد منصرفة عن زوجها ، لا تكاد تبادله حديثاً .

لقد شعرت بغتة أن كل ما بينها وبين هذا الرجل قد انتهى منذ استقر بها المقام فى المدينة المنورة . وكانت تؤول هذا الشعور بأنها ما تزوجته إلا لكى يُؤْذَنَ لها فى المسير إلى البقاع الطاهرة ، ثم تعود إلى بلاد تُظِلُّ ولدها . أما وقد جاء بها إلى « المدينة » إلى غير عودة ، فليْدَعْها إذن إلى جوار الرسول ، فما لها فى غربتها ملاذ سواه !

لكنها فى أعماقها كانت ترى هذا الزوج مسئولا عما تعانى من جهد الشوق إلى ولدها :

أو لم يزين لها الزواجَ على غير هواها ، ويَعِدها السلوَّ والنسيان ؟